وإذ أخذ «سيتايي» الكتاب، وهو نسخة من إنجيل «توما»، فقد توقّف منذ التوطئة عند رسم يمثّل «يسوع» وسط حواريّيه. ولم يكن أي واحد من أولئك الأشخاص مرسوماً بالجسد، فما هم سوى ثلاثة عشر وجهاً، وفي الوسط «الناصريّ» وخلف رأسه قرص شمسيّ على شاكلة آلهة (تدمر). وقريباً من «توما»، تَوْأمه بحسب اعتقاد الجماعة؛ وحولهما الوجوه الأخرى دائرة وكأنها كواكب في سماء زرقاء وسوداء. وكتم «سيتايي» أنفاسه. وكان المريدون خلفه ينتظرون حُكمه بصمت.

بيد أن صدور الحكم تأخّر.. فقد مضى المعلّم يضع الكتاب فوق إحدى الطاولات، أقرب واحدة من النافذة، وغرق في تأمّله من جديد على ضوء النهار. كانت الصورة التي ينظر إليها تنظر إليه أيضاً، وكانت وراء الورقة بكثير، وأدرك أنها لا يمكن أن تكون قد وُلدت من خيال المراهق. فلقد تعمّقت ملامحها وازدادت نظرتها كَدَراً وكأنما أصابها الخوف.

وفي حين ظلّ الرجل خائراً، كان «ماني» يجول بنظره على الجدران التي تكدّست لصقها الرِّقاق وأوراق البرديّ الملفوفة والكتب المؤلفة من سعف النخل والمحزومة بحُبَيْلاتٍ رثّة. وكان الصبيّ يعرف كل مُصَنَّف من جلدته فأخذت شفتاه تتمتمان لاهِيَتَيْنْ بأسماء المؤلّفين: «بطليموس»، «آريان»، «مارسيون»، «بردوزان»... وكان في مُكنته أن يظلّ كذلك ساعات من غير كَلَل، مراجِعاً في ذاكرته ما حفظه من كل منهم، وفي بعض الأحيان ما كان قد أُغري برسمه أيضاً. وأقبلت ابتسامة أشرق معها وجهه الطفولي المفتون. وكان قد سبق ذلك أن غاب كل شيء عن الوجود حواليْه... إلى أن تحطّمت هذه الدَّعَة الهشّة عند أول كلمة سمعها. فقد قال «سيتايي» الذي نمّت عيناه وصوته عن تأثّره:

ـ هذه الرسوم، آللهُ أم الشيطانُ هو الذي ألهمك إياها؟

واستدار من لحظته وخرج ليُدلِّل بالتأكيد على أنه لم يكن ينتظر أي جواب من فم «ماني».